مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

تجلي ثقافة الموروث الشعبي في السرد الروائي الجزائري،
– أدب الصحراء – مقاربة نقدية توصيفية

THE MANIFESTATION OF POPULAR HERITAGE CULTURE IN ALGERIAN NARRATIVE FICTION – DESERT LITERATURE: A DESCRIPTIVE CRITICAL APPROACH –

د. شفيقة بن داود

جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر (2)، الجزائر

Chafika.bendaoud@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/21 تاريخ القبول: 2026/03/30 تاريخ النشر: 2026/09/30

ملخص:

إن العناية بالموروث الشعبي لا يقتصر فقط على جمعه والحفاظ عليه، بل أيضا نقله وعرضه على الأجيال القادمة لتستوعبه وتحتضنه باعتباره جزءاً من هويتها والرابط الوثيق بالأرض /الوطن الأم. ولهذا سعت الرواية الجزائرية جاهدة لإحياء هذا التراث الثقافي الشعبي من خلال تدوينه بين سطورها السردية، لتحقق له الحياة والاستمرارية والتداول.

وعليه في هذه الورقة البحثية نسلط الضوء على المرأة في الجنوب الجزائري – الصحراء– وعلاقتها بهذا الموروث الشعبي المتميز بطقوسه الصحراوية وبيئته الخاصة، فاخترنا لهذه الدراسة رؤية نقدية توصيفية لتحقيق الأهداف المرجوة منه.

الكلمات المفتاحية:

الثقافة؛ التجلي؛ الصحراء؛ المرأة؛ الموروث الشعبي.

Abstract:

Caring for popular heritage is not limited to collecting and preserving it; it also involves transmitting and presenting it to future generations so that they can assimilate and embrace it as part of their identity and a close bond to their land / homeland. For this reason, the Algerian narrative fiction has strived to revive this popular cultural heritage by documenting it within its narrative lines, granting it therefore, life, continuity, and circulation.

In this research paper, we have attempted to shed light on the role of woman in southern Algeria – the Sahara – and her relationship with this popular heritage, distinguished by its desert rituals and unique environment. We have therefore chosen a descriptive critical perspective for this study in order to achieve its intended objectives.

Keywords:

Culture – Manifestation – Popular Heritage – Sahara – Woman

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

تعدّ الرواية من أبرز الاجناس الأدبية، فهي فنّ نثري حديث له مكانته التي تميزه عن باقي الأنواع الأدبية الأخرى، فقد حظيت الرواية باهتمام كبير حتى أصبحت سيدة الفنون الأدبية في عصرنا هذا بفضل طريقتها السردية والجمالية المتميزة التي تطرح من خلالها قضايا مصيرية شغلت الإنسان المعاصر وماتزال. كتصويرها للواقع المعيش بكل أشكاله وحيثياته، مما ألهم الكتاب ليتخذوها كقالب للكتابة السردية، ودفع بالقراء ليقتنوها وليبحثوا عن ذواتهم المغيبة بين سطورها. من هنا "يتبدى لنا حجم العلاقة التي تربط بين النص الإبداعي والمتلقي ...ممثلة في صورها الإيجابية عبر الجوانب المعرفية والعلمية والاجتماعية ..."[1] وعلى هذا الأساس، استطاعت الرواية تحقيق هذه السمة عبر مسارات الكتابة الروائية الممتدة في سيرورتها الزمنية، وتحظى في الوقت نفسه بتلك المكانة المرموقة في إطار المنظومة القرائية والثقافية.

ومن أهم القضايا التي عنيت بها الرواية حفظها للموروث الثقافي الشعبي بكل تمظهراته المادية واللامادية ، وخاصة الموروث الذي له علاقة بوضعية المرأة داخل المجتمع والأسرة وعلاقتها بالمؤسسة الذكورية... فكانت بذلك الرواية بمنزلة الوعاء الذي حفظ التراث من الضياع والاندثار، إذ نجد الثقافة الشعبية قد لعبت دورا هاما في تحقيق هوية الشعوب ،ومنها الثقافة الشعبية الجزائرية ،ولاسيما الثقافة الشعبية التي يحتضنها الجنوب الجزائري ، كمنطقة أدرار، و توات، والهقار وغيرها ،فقد حافظت هذه الأخيرة على هوية الشعب الجزائري " إذ غلب عليها هاجس الاحتياج اليومي والطابع الرمزي والشعوري "[2]، فالتراث الشعبي إذن هو روح الأمة التي تسري في كيانها عبر العصور والأجيال . وهو أيضا الواجهة التي تميز ملامح الأمة عن سواها، كونه يشمل كل "ما عبر عن شعورنا ونبع من ذاتنا وترعرع على أرضنا، فالتراث هو موروثنا الحضاري لغة وأدبا وعلما وفنا وفلسفة ودينا ..."[3]

إن اهتمام الرواية الجزائرية بالتراث، كان واضحا منذ بدايات ظهورها رغم ما عرفته من تأخر بسبب الاستعمار وتبعاته، وكان أول السباقين لتضمين التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ،عبد الحميد بن هدوقة في أعماله الروائية، نذكر منها رواية "الجازية والدراويش" التي كانت الناطق الرسمي لعادات ومعتقدات المجتمع الجزائري. وكذا الرواية التي احتضنت تراث الإقليم الصحراوي وما جاوره، حيث كانت ترجمانا صادقا لواقعه، فقد دونت الرواية الصحراوية كل التغيرات التي طرأت عليه فكريا و اجتماعيا وعقائديا، وواكبت كل المستجدات مغترفة من الموروث الشعبي الصحراوي الذي كان خير دليل على هويتها وانتمائها .

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

2 .ضبط المفاهيم النقدية للمصطلح: (الفولكلور والتراث الشعبي)

1.2.مصطلح الفولكلور:

ارتبط مصطلح الفولكلور (FOLKLORE) ، من الناحية التاريخية ب" وليم جون تومز W.J.Thoms وبجمعية الفولكلور الإنجليزية، فهو أول من صاغ هذا المصطلح علميا سنة 1846م، والجمعية هي التي صادقت عليه عندما تأسست سنة 1877م"[4]. يتألف مصطلح فولكلور من مقطعين هما (Folc) بمعنى الناس، و(lore) بمعنى معرفة أو حكمة، وعليه معنى كلمة فولكلور هي حكمة الشعب أو المعرفة الشعبية. وما كان اقتراح تومز لهذا المصطلح إلاّ ليدل على "دراسة العادات المأثورة والمعتقدات، وكذلك ما كان معروفا حتى ذلك الوقت –بشكل غامض– بالآثار الشعبية القديمة Popular antiquities "[5].

بعد انعقاد الجمعية الإنجليزية حاول الكثير من الأنثروبولوجيين أن يحددوا مهام المصطلح، من بينهم "باربيو" و"كراب" هذا الأخير الذي يبدو الفولكلور في نظره علما تاريخيا ، بينما نجد بعض المهتمين بعلم الأنثروبولوجيا ك "باسكوم " (Bascom) الذي يعتبر مصطلح الفولكلور "أصبح في الاستخدام الأنثروبولوجي يعني :الأساطير ،وقصص الخوارق، والحكايات الشعبية، والأمثال الشعبية ،والألغاز .."[6] ، بينما "هرسكوفيتس" (Herskovits) نجده يضيق مجال المصطلح ويضع له مصطلحات عديدة مثل "الأدب غير المدوّن، أو الأدب البدائي(الشعبي) والتي تستخدم الآن بكثرة في مجال الإثنولوجيا بدلا من الفلكلور"[7].

لقد كان هؤلاء ينظرون للفولكلور على أنه مرادف للأدب الشعبي الذي ينتقل عن طريق الرواية الشفهية، وبذلك عملوا على استبعاده عن باقي مهام الأدب الشعبي الأخرى والمعتقدات والحرف..."[8]، مما أحدث تعريفات كثيرة له – الفولكلور– منها تعريفه ب"المأثورات الروحية الشعبية، وبصفة خاصة التراث الشفوي، وهو أيضا العلم الذي يدرس هذه المأثورات.." [9].

إلاّ أن هذا التعريف نجده يساير أول صياغة لمصطلح فولكلور الذي وضع معالمه "تومز" حين عرفه بقوله:" إنه العقائد المأثورة، وقصص الخوارق، والعادات الجارية بين العامة من النّاس(...) والمعتقدات الخرافية، والأغاني الروائية، والأمثال الشعبية وغيرها"[10]. من هنا نتبين أن "تومز" كان يعد الفلكلور ذلك الجانب من الثقافة الشعبية.

2.2 مصطلح التراث الشعبي:

ظهر مصطلح التراث الشعبي كمقابل لمصطلح الفولكلور عند الغرب، وقد تم تداوله في الساحة النقدية العربية بحكم الترجمة، التي أوجدت لنا أيضا العديد من المصطلحات البديلة عنه كالمأثورات الشعبية، والمرددات الشعبية والفنون الشعبية، والثقافة الشعبية...وغيرها. فكل هذه المصطلحات رغم تباينها في ترتيب الحروف واختلافها، إلاّ أنّها تحمل المعنى نفسه الذي يحمله مصطلح "الفولكلور". ويرجع الفضل في وضع مصطلح "التراث الشعبي"، إلى الأستاذ أحمد صالح رشدي، الذي "أطلق هذا المصطلح على هذا النوع من الدراسات ولا تزال

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

مؤلفاته تعد بمثابة حجر الزاوية في إرساء دعائم هذا العلم في عالمنا العربي"[11]. وقد تداول الكثير من الدارسين العرب والباحثين هذا المصطلح، إذ هو في نظرهم الأنسب نقديا مقارنة بالمصطلحات الأخرى المتداولة.

فما ماهية التراث الشعبي عند النقاد والدارسين العرب؟

يقف سعيد يقطين على عتبة تحديد مفهوم التراث الشعبي ومدى غموضه موضحا مفهومه: "إن، التراث مفهوم ملتبس، فهو يعني في مختلف الأبحاث التي تناولته كل ما خلفه لنا العرب والمسلمون من جهة ويحدد زمنيا، بكل ما خلفوه لنا قبل النهضة من جهة ثانية. وبحسب هذا التحديد نجده يتسع ليشمل كل الموروث المكتوب والمحكي، وكل الآثار التي بقيت من عمران وعادات وتقاليد، ولها صلة وثيقة بالحقب الخالية. هذا الشمول والاتساع لا يمكن إلاّ أن يدفع إلى الالتباس ويخلق الإبهام"[12].

بينما نجد عبد الحميد بورايو يعرف التراث الشعبي بأنه " مجموع الرموز وأشكال التعبير الفنية، والجمالية، والمعتقدات ،والتصورات، والمعايير، والتقنيات والأعراف، والتقاليد ،والانماط السلوكية التي تتوارثها الأجيال ويستمر وجودها في المجتمع، بحكم تكيفها مع الأوضاع الجديدة واستمرار وظائفها القديمة، أو إسناد وظائف جديدة لها"[13]

أما الناصر البلقوطي فعرف التراث الشعبي مع بيان خصائصه التي تميزه عن غيره إذ يقول :" يعرف الأدب الشعبي على أنه إنتاج قولي يرتكز على مقومات عدّة، إن لم تتوفر كلها فجلها يكفي لتحديد مفهوم هذا الجنس من الأدب"[14]، و من دعائم مقوماته اللغّة العامية ، ولا يعني أن شعر العامية برمّته أو الشعر الملحون هو بالضرورة شعر شعبي في نظر البلقوطي ،لأن الشعر الملحون ينبع من أحاسيس فردية تعبر عن قائله ،بينما الشعر الشعبي يعد تجربة جمعية والأحاسيس تكون عامة ، "فالمحتوى الثقافي المعبر عن قيم الجماعة والعاكس لخصوصياتها هو من بين مقّومات هذا الأدب وكذا تداوله الشفهي وتوارثه في صلب الجماعة من السلف إلى الخلف"[15].

من بين المقومات التي يذكرها مجهولية المؤلف " فمن البديهي أن لكل أثر أدبي مؤلف ففي هذا السياق تنصهر شخصية المبدع في الشخصية الجمعية إلى درجة أنه بعد فترة قد تطول أو تقصر يصبح المؤلف الأصلي للنص مجهولا"[16]. ويصبح هذا النّص الذي يبدو ثابتا قابلا لأن تعاد صياغته كلما تم تداوله، وذلك حسب مؤهلات الراوي ومدى إبداعه.

وعليه مما سبق ذكره نتبين أن موضوعات الفولكلور أو التراث الشعبي تتمثل في:

-العادات والأعراف الشعبية (عادات الزواج و الولادة، والطلاق ، والموت، و الأعياد.)

-المعتقدات والأفكار الشعبية (السحر، والشعوذة ، والطب الشعبي...)

-الفنون الشعبية (الحكايات الشعبية، والخرفات ، والأغاني، والألغاز، والاساطير، والامثال الشعبية، والشعر الشعبي، أو الملحون...).

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

كل هذه الموضوعات تؤدي " دورًا بارزًا في ترجمة وبلورة مشاعر الأفراد ورغباتهم وهمومهم، وأحزانهم، وأفراحهم، ومشاكلهم..، فالأدب الشعبي هو روح المجتمع يعبر عن ذوقه وقيمه الجمالية "[17].

3. الرواية الجزائرية والتراث الصحراوي:

استطاعت بعض النصوص الروائية الجزائرية أن تكشف لنا عن عوالم رحبة لعالم الصحراء بقسوته ولينه، وذلك من خلال تبنيها للموروث الثقافي الصحراوي من خلال عرضه بأسلوب فنّي قوامه التخييل الروائي والواقع المعيش. إذ وجدنا في روايات أدب الصحراء بغيتنا ووجهتنا في هذه الروقة البحثية، فقد استطاع هذا الأدب أن ينقل ثقافة هذا الموروث الشعبي المتداول، ويربطه في الوقت نفسه بالمرأة الصحراوية، ليرسم في ذاكرتنا ملامح صورتها في الجنوب الجزائري، والذي عرف ضبابية بالنسبة إلينا لو قارنه بوضوح الصورة بالنسبة إلى ملامح المرأة في الشمال أو الشرق أو الغرب الجزائري. فنحن نجهل عنها الكثير عن ذاتها، وحياتها الأسرية، وعاداتها، وتقاليدها، واهتماماتها...

وعليه وجدنا في بعض المتون الروائية الجزائرية ضالتنا المنشودة ك"تلك المحبة" للحبيب السائح، و"مملكة الزيوان" للحاج أحمد الصديق الزواني ...وغيرها من المتون.

فقد جسدت لنا هذه النصوص السردية ثقافة الموروث الشعبي لمنطقة الجنوب، والجميل أنّها ربطته بالمرأة الصحراوية سواء التارقية أو الأدرارية، أو التواتية ،أو الهقارية...بوصفها عماد الخيمة كما يقال، أيّ الأسرة ومنه المجتمع الصحراوي.

فهل حافظت الرواية الجزائرية على هذا الموروث من الضياع والاندثار بتدوينه سرديا؟

وهل الرواية الصحراوية استطاعت أن تصور لنا دور المرأة الصحراوية في ترسيخ الثقافة الشعبية لمجتمعها؟

1.3المرأة الصحراوية في ظل ثقافة الموروث الشعبي:

يعتبر الرجل في المجتمع الجزائري، الركيزة الأساسية للأسرة، فهو حامي الحمى ،والمحافظ على هذا الصرح، وهو رمز القوة والحكمة والسلطة المطلقة. هذه الوضعية ولدت مع الوقت تباعية المرأة للآخر/ الرجل سواء كان الأب، أو الأخ، أو الزوج . وهي تباعية هلامية غذتها العادات والأعراف المتعارف عليها منذ عهود طويلة، حتى أصبحت جزءًا من ثقافتنا ومن عقيدتنا.

تعد المرأة الصحراوية سواء كانت التارقية أو التواتية، فهي تحظى بالاحترام والتقدير والحماية بالإضافة إلى الحرية المطلقة، فالمجتمع العشيري يبجل المرأة ويربط الشرف والخيرات والسلطة بها. فهي رمز الاستمرارية والحياة. فقد عرف على أهل الصحراء "بتزكية الروابط وتوطيد علاقاتهم، ونشر الخير والمحبة بينهم، فتخذوا يوم الجمعة للتلاقي وتبادل الزيارات العائلية...، كما تعالج فيها المشاكل العائلية.."[18].

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 443–456 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

وهذا هو الدافع الذي جعل الموروث الشعبي يدور جله حول المرأة الصحراوية، ويعمل على تثبيت مكانتها في القبيلة أو العشيرة. وبما أن معظم الروايات التي تطرقت للجنوب الجزائري احتوت قضايا المرأة، حاولنا التركيز على حضور المرأة في هذه الروايات ومحاولة تجلي ملامح تصويرها من وجهة نظر الموروث الشعبي الجزائري.

إن حضور المرأة في النصوص الروائية، ما هو إلاّ دليل واضح على ما تتمتّع به من مكانة هامة في مجتمعها وبين عشيرتها، فقد كان ظهورها بارزًا في هذه النصوص، وهذا ليتسنى لها أن تنقل إلينا العديد من المعطيات الثقافية، كالعادات والتقاليد والقيم والطقوس الممارسة في الفضاء الصحراوي باعتبارها حامية لها من جهة، ومن جهة أخرى كونها تؤدي دوراً فاعلا في طرح الكثير من القضايا الاجتماعية والعقائدية حسب الوظيفة المسندة إليها داخل النّص الروائي.

من خلال دراستنا النقدية لثلة من النصوص السردية المختارة، والتي تحاكي خصوصية منطقة الجنوب الجزائري لكتاب اهتموا بالجنوب، وأدب الجنوب، تبينا أن تجربتهم الإبداعية كانت مختلفة في تناولها لتيمة الصحراء، وفي طرحها لواقع المرأة الصحراوية المعيش، وذلك حسب طريقة كل مبدع في كيفية اشتغاله الفنّي والابداعي، وتجاربه الشخصية وخلفياته الثقافية السابقة، ونظرته للواقع انطلاقا من منطلقاته الفكرية وعمق نفسيته ، ومدى تصادمه مع هذا الواقع وتحدياته، وما يثيره من قضايا إنسانية واجتماعية وسياسية .... فعلا لقد أضافت هذه الكتابات السردية شكلا أخر للكتابة السردية الجزائرية عرفت بتيمة الصحراء وخصوصية المرأة في الجنوب.

2.3 صناعة مكانة المرأة التوّاتيّة في طقوس الموروث الشعبي:

أ– مكانة الرابطة في المشهد الطقسي التوّاتي:

وظف الروائي الحبيب السايح في روايته "تلك المحبة"[19]، طقس الرابطة الذي تقوم به المرأة الأرملة في منطقة تّوات، وهذا في ظل العادات والتقاليد، فالرابطة حسب ما هو متعارف عليه عند أهل الصحراء هي:" المرأة التي يتوفّى عنها زوجها، وسميت بالرّابطة لأنها في بيتها يتم ربطها أيّ حبسها خلال عدتها ولا تخرج إلاّ بعد تمام هذه العدّة، والتي حددتها الشريعة الإسلامية قبلا. لقولة تعالى :(والذّين يتوفّون منكم ويذرون أزواجًا يتربّصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشرا)[20]، فهذا الطقس في حقيقته يدخل ضمن الشعائر الدينية التي فرضها الإسلام وهي عدة المتوفى عنها زوجها والتي حددت ب أربعة أشهر وعشر. لكن ومع مرور الزمن تحولت هذه الممارسة الدينية إلى طقس من الطقوس المتوارثة والمتداولة في التراث الشعبي لمنطقة تّوات. ويتم تأدية هذا الطقس بصورة خاصة حينما تتلقى المرأة الرابطة الدعم والمساعدة من النساء سواء كانت المساعدة مادية أو معنوية في فترة عدتها.

لقد وصف لنا الروائي لحبيب السايح هذا الطقس ، من خلال شخصية "نجمة" في روايته "تلك المحبة"، وهي تخضع بكل سماحة لهذا الطقس وتحترم كل ترتيباته خطوة خطوة، رغم الصورة السلبية التي تحملها كامرأة أثمة تتبع رغباتها وأهواءها الجسدية، دون رادع ديني أو اجتماعي. "كان عشاقها الخائبون في مساعيهم نحو قلبها ... وهبوا

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الهدايا تقدمة لامتنان يحظون به منها"[21]. فنجمة امرأة لعوب قامت بقتل زوجها لتتخلص من قيود الزوجية، إلاّ أنها التزمت في الوقت ذاته بتأدية طقوس الرابطّة، مما يعكس لنا مدى سلطة العادات والتقاليد في هذا المجتمع الصحراوي، ومدى تحكمه في الأفراد والجماعات والمجتمعات.

" وكانت نجمة قد لزمت بيتها بإباء وصبر أربعة أشهر وعشرا، لا تخرج اضطرارا إلاّ ليلا "[22].

ب–طقوس العزاء في توّات:

يسوق إلينا النص الروائي تلك المحبة بعض مظاهر طقس العزاء في الجنوب الجزائري ، وخاصة في منطقة توّات ، ويسلط الضوء على المرأة المتوفى عنها زوجها ،والمتمثلة في شخصية نجمة الرابطّة ،التي قامت بكل طقوس العزاء المتعاف عليها في ظل العادات والتقاليد بمنطقة توات .فالمرأة الرابطة لا يجب عليها أن تظهر سعادتها أو تضع زينة ما على وجهها أو جسدها ، ولا تفرط في الحديث ،ولا تكلم رجلاً خارج إطار محارمها ، لأنّها ستكون محط أنظار أفراد العشيرة ، يقول السارد واصفا الوضع الاجتماعي في مقام العزاء : " تصلها أخبار حاسداتها رصدن لها من يستطلع أمرها فيحسب زلاتها . فقد رتّبن لها في بيتها من تجسّست عليها إن كانت تضحك أو تبدي سرورا أو سعادة، أو تطلق شعرها...أو تتحمم أكثر من مرة خلال سبعة أيّام"[23].

ومن ثمّ يمنع على المرأة في عدتها أن تضحك أو تبدي سعادة ما أو تهتم بجمالها ،لأنها تكون محل مراقبة مستمرة من قبل المجتمع ،وعليها أن تحترم فترة العدة وتلتزم بكل الطقوس المفروضة عليها ، كعدم تحركها لمدة ثلاث أيّام العزاء ، والحركة نقصد بها هنا التنقل خارج بيت الزوجية ، ويجب أن تظهر حزنها للحضور ، كما يقوم الطالب بتسليمها سبيبة بيضاء شقها بأسنانه من كفّن زوجها قبل تغسيله ،وهذا ليتم تهيئتها لربط عدتها ، يصف السارد كل هذه الطقوس في قوله" لم تتحرك –نجمة– خلال أيّام تعزية الثلاثة ولا بكت أو دمعت لها عين...ولا أقامت لزوجها ذاك مناحة ...فتكتّفت من حولها كتل الحزن...وكان الطالب سلّمها سبيبة بيضاء من الكفن شقها بأسنانه قبل تغسيل الجثة، وتهيئة لربط عدّتها"[24].

وتستمر الرابطة في اجتياز هذه الطقوس الشعبية المتوارثة عن الأسلاف، إلى غاية عشية يوم انتهاء عدتها، بحيث تقوم الرابطة بإخراج إلى الزاوية القريبة من البيت مائة وثلاثون ماعونا من عيش قمح (بلمبروك) ولحم ضأن. يقول السّارد في نصه :" حتى إذا كانت عشية نهاية تلك العدة أمرت نجمة أن تخرج إلى الزاوية القريبة مائة وثلاثون ماعونا من عيش قمح (بلمبروك) بلحم الدّمان ، حسابا لأيّام عدّتها التي لما أوفتها قامت فجرا تتهيأ للوح"[25].كل هذه الطقوس والممارسات تجعل من الموت وعدة الرابّطة طقسا مجابا عند العشيرة ، وإلاّ كانت الرابطة مقصرة في حق العادات والتقاليد والأعراف.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 443–456 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

ج. طقس اللوح أو الخلاص من الرباط:

هناك طقس أخر تقوم به الرابطة بعد فك رباطها بمنطقة توات–الصحراء–،وهو الاحتفال بلوح المرأة بعد انتهاء عدّتها "اللوح من الحزن"، إذْ يصف السارد خلفيات هذا الطقس قائلا: "قامت –نجمة–فجرا تتهيأ للوح، ودخلت حوضا من الماء سخنته المملوكة بالفحم السوداني، فحكمت لها كل مفصل وكل عضو حساس ..."[26].لم تكتف نجمة بالحمام إنما رحت تختار أبهى الثياب وأجمل العطور يقول سارد: "فتنشفت وأخرجت أبهى ما أهداها زوجها التاجر من ألبسة تلمسان عدة لاحتفالها باللوح "[27].ثم قامت باستقبال حبيباتها من الهجلات وانتظرت حتى خرجت كل البنات غير المتزوجات ،ثم سرنا في عهدة امرأة عجوز إلى "أرض بكر فدرن بمكان ثلاثا ثم حفرنا فيه حفرة وقفت عليها العجوز وقالت :هذه حفرة الحزن فيها شر نجمة يندفن"[28]

هذه الحفرة في طقس اللوح هي التي يتم فيها دفن شر الأرملة وحزنها على زوجها، وهي بذلك تحيلنا إلى رمزية بداية المرأة الأرملة لعهد جديد وطي العهد القديم، ومنه استعدادها لحياة زوجية أخرى جديدة وأيّ مخالفة لهذا الطقس سيحل على المرأة الأرملة حسب معتقداتهم كل المتاعب والمصائب والمحن في حياتها. وعليه وجب القيام بهذه الطقوس والشعائر الاجتماعية كما أقرّت بها العادات والتقاليد، فهي "تهدف إلى إعطاء الفرد ميزة وتأشيرة الانتقال في درجات السلم الاجتماعي، وتطبيق لشعائر وممارسات تتفق عليها الجماعات البشرية في حياتها"[29]

د. لباس المرأة الرابطة بعد فك الرباط:

للمرأة الرابطة في الصحراء لباسها الخاص بعد انتهاء العدّة، وجب التقيد به وهو اللحاف، وهذا ما ورد على لسان السارد قائلا: "فلما وصلت –نجمة –الحفرة فقعدت فيها فجاءت كبريات النساء، وغطينها باللحاف وسرحن لها شعرها وألبسنها ما هيأت من جميل الثياب" [30] ،ويعد اللحاف لباسًا تراثيًا عريقًا في الثقافة الترقية والصحراوية، وغالبا ما يتبع لبس اللحاف، أو الملحفة ببعض الحلي التقليدي، وهي ما يضفي على اللباس لمسة خاصة من الأصالة الأمازيغية الصّحراوية.

ولكي يكتمل طقس الخلاص من الرباط، نجد العجوز حسونة تنزع عنها السبيبة ومدتها لها فأعطتها إحدى من حفرت ونزعت خاتمها الفضي وسلمته الثانية ومسيستها الفضة أيضا فقدمتها للثالثة من الحاضرين، واحتفظت فقط بعبايتها، ثم قامت ونادت بأسماء أطفال ولكن بما أنها لم يكن لها أولاد، تقدم منها ثلاثة صبيان من أولاد صديقاتها اليتامى فأهدوها نعالة ومحرمة ومنديل"[31].

تم جاء طقس الانعتاق من الحياة الزوجية السابقة، حيث قامت نجمة وصلت ركعتين شكرا لله، ثم جمعت المشط وكل ما كانت تلبسه يوم الجنازة وألقت كل شيء في حفرة الحزن وقالت: "حليت فيك الهم والندم"[32]. هنا تمت كل الطقوس الخاصة بفك الرباط بعدها قامت النساء بتحيتها بالزغاريد وضرب لها الطبل وقالت النساء الحاضرات جميعا: الحمد الله على السلامة.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

لقد أنتج السارد لوحة فسيفسائية معبرة من العادات والتقاليد المتبعة، كما كشف بوضوح تام حياة المرأة الصحراوية، ونفسيتها ومدى خنوعها لعادات المنطقة التي ترعرعت في كنفها. فقد سيطرت عوالم السحر والشعوذة والخرافة على المرأة الصحراوية، فأصبحت هذه الممارسات ضرورة في تحديد مصيرها حاضرا ومستقبلا، فالتفكير الخرافي سيطر على الذهنيات الصحراوية وهذا راجع إلى نمط الحياة وأسلوبها المعيش البسيط والساذج.

4. طقوس الولادة ومراسيمها في توّات:

طقوس الولادة عادة اجتماعية ممارسة في كل المجتمعات البشرية، لكن في المجتمع الصحراوي، يصف السارد مظاهر معاناة المرأة في لحظات المخاض والولادة، كونها من أصعب الوظائف الطبيعية التي تقوم بها المرأة للاندماج في العائلة أكثر، إذْ يمثل ميلاد الابن الخطوة الأولى نحو استقرار الفتاة المتزوجة عند عائلتها الجديدة. "والابن وحده هو الذي يتيح لها الاستفادة طيلة حياتها من قانون الأمومة...لذلك يعتبر ميلاد هذا الابن البداية الحقيقية لحياتها"[33] الزوجية والأسرية المستقرة.

القارئ لمملكة الزيوان، يجد السارد قد بالغ في الاهتمام بتوظيف الجانب المحلي في نصه الروائي، فهو من الأصوات المتميزة في التجربة السردية الروائية الناقلة والراصدة للمتغيرات الاجتماعية التي مرت بها منطقة الصحراء وما يحيط بها، ولا يسعه إلاّ أن يلقي الضوء أكثر على الطابع السوسيولوجي للمرأة التوّاتية المجسد في العادات والتقاليد والأعراف الممارسة بشكل يومي مكرر في حياتها، والذي يعكس خلفيتها النفسية والفكرية.

ومن هذه الخلفيات المذكورة نتطرق للمرأة الأم في الرواية، والتي تجسد المرأة الصحراوية الحاضرة ببساطتها الفكرية والنفسية، والتي لم يكن يشغلها شيء ذو أهمية سوى أن ترزق بمولود ذكر وهذا لترضي زوجها والعائلة وتسلم في الوقت نفسه من الاقاويل، وتضمن ورث زوجها من والدها. فضمن هذه الشخصية استحضر السارد في روايته طقوس الوضع وما ينجر عنها من عادات وأعراف وطقوس تمارس على الأم والمولود معا.

1.4. الأبعاد الأنثروبولوجيا لحفرة المخاض في توّات:

تحفر للمرأة المقبلة على الوضع حفرة تسمى "حفرة المخاض"، وهي حفرة ارتبطت بالمرأة الصحراوية دون غيرها، وهذا لارتباطها بعالم الصحراء المتميز بالرمل، الذي يعد جزء من هذا العالم. وهذه الحفرة لها بعد أنثروبولوجي عميق فالمولود يحظى بحضن الحفرة قبل حضن أمه، وكأن الطبيعة الصحراوية تنذر المولود بالقساوة والخشونة، التي سيعايشها ويعيش في كنفها.

" حين تقلصت عضلات رحم أمي، وقذفت بي إلى هذا الوجود المبكي ...أوّل شيء حاولت القيام به، أنّي استهللت صارخا، بيد أن ما يمكنني ذكره من أمر هذه اللّحظة الأولى ...أنّي كدت أسبح في تلك الحفرة الرملية"[34].

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

هنا تتم الولادة التي تعد" التحول الأوّل الذي يطرأ على الإنسان ،إذْ ينتقل بموجبه من عالم ما قبل الحياة إلى عالم الحياة ويخرج من الغشاء الأمومي إلى الغشاء الثقافي"[35].ويتبع لحظات الولادة طقس كيفية استقبال المولود الجديد في العائلة وكيفية تهيئته لما هو آتي .وأول خطوة استقبال ، قطع الحبل السري الذي يربط الأم بطفلها ،والذي بمجرد الولادة لا تصبح له أهمية بيولوجية تذكر، هنا يتم الانفصال بين الأم وطفلها ،وهذا ما عبر عنه السارد بلسان المولود:" أحسست الموس في يد عيشة مباركة بنت بلة وهو يقطع سرتي ويفصلني عن أمي ،بعدما قضيت معها صداقة دامت تسعة أشهر"[36].

لقد كان المولود محط اهتمام العائلة كلها، لأنه ثمرة انتظار سبع سنوات كاملة، فالأم قد أصابتها عقدة وضع الحمل قبل أوانه أو فساده في أشهره الأولى، وهذا ما جعلها تخشى على هذا الحمل ألا يكتمل، لكن فرح الأم بمولودها كان لحظة بكائه والإعلان عن قدومه. وكانت العمة نفوسة قد ربطت هذه الظاهرة –عدم اكتمال حمل الأم– إلى السحر والعين الحاسدة وأن "زوجات أعمامي لأبي، قد سحرن أمي وكتبن لها الحجاب بخط الجدول، عند الطالب أيقش"37. كل هذه الادعاءات والخرفات وجدت في نفس الأم مرتعا لها.

2.4 النفاس وتبعاته عند المرأة التوّاتية:

تعد مرحلة النفاس مرحلة مهمة في حياة الأم والمولود، فالأم بعد مرحلة الوضع تنتقل لمرحلة أخرى هي مرحلة الاعتناء بطفلها وفق عادات وتقاليد متوارثة عن الأمهات والجدات السابقات، كنظافة الطفل وإرضاعه، والحفاظ على صحته...والسارد في نصه الروائي يفصل في هذه العادات بلسان الراوي واصفا كيفية مساعدة الأم لطفلها كفتح عينيه ليتم له رؤية ما حوله قائلا: " ولما كنت في حجر أمي، ولم أفتح عينّي، أخذت أمي قليلا من دهن البطّة*، ...

فوضعت باطن بنانة سبابتها اليمنى في ذلك الدّهن ...ومسدت به عينّي مسدا لطيفا بعدها انفتحتا"[38].

بعدها يأتي طقس تكحيل الأم لعينيّ طفلها كي تحقق له الرؤية الواضحة مع صفاء العينين "فاغتنمت والدتي فرصة غرغرة دموعي علها تلتصق بالكحل، ومدّت يدها إلى تدارة *... فاستلت منها مرودا أملس من الحناء ...وألقت به في جوف قنينة كحل صغيرة..."[39].

إن اهتمام الأم بطفلها يعد فطرة فيها، بينما اهتمام كل العائلة بالصبي كان لمدى أهمية الذكر في العائلة فالمولود عند توّات، ينظر إليه على أنه" مصدر رزق واطمئنان، على ممتلكات العائلة وشرفها "[40]. وهو الحامي للممتلكات من بعد والده على عكس الأنثى مجيئها يعد نقمة لأنها تحرم من الميراث في عادات وأعراف توّات. يحدثنا السّارد عن مجيئ أخته وكيفية امتعاض العائلة لمجيئها. "كما كان من سواد طالعها، أن ولدت في الحمل الثالث، أختي مريمو، وبالرغم من أنّ البنت غير مرحب بها في قصورنا يومئذ، لكونها لا ترث ما حبّس من الميراث"[41]. هذا سيضعف العائلة ويجعلها تنهار وتفقد ميراثها، والمنقذ الوحيد هو الذكر. الذي يحظى دائما بحفاوة

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الاستقبال والترحيب المصحوب بالفرح والاستبشار، فميلاد الذكر في الأسرة التوّاتية يعد حدثًا عظيمًا، فمثل هذه المجتمعات نجدها في أعرافها تفضل الذكر عن الأنثى ،وهذا ما يحيلنا إلى عمق التّفكير الذّهني لسكان الصحراء وبالأخص أهل توّات ، فالأعراف تمشي الأنثى وتذلها من الميلاد إلى الوفاة، وتمجد الذكر لأنه الحامي للميراث وتركة الأسرة. وعليه نتبين الهيمنة الذكورية على سيّر الموروث الشعبي في منطقة توّات.

"لقد كانت عمّتي نفوسة شقيقة والدي، تخشى علّي وعلى شقيقها، أن يذهب حظّنا من تلك السّباخ، والقواريط، والفقاقير.."[42].

5. الخاتمة:

خلاصة القول وصفوته في هذه الدراسة، أن النصوص الروائية استطاعت أن تميط اللثام عن الموروث الثقافي الشعبي الصحراوي، وتحافظ عليه في الوقت نفسه من الزوال والاندثار. كما أسهم فضاء الصحراء بكل تفاصيله وموروثاته الثقافية، من عادات وتقاليد وأعراف ومعتقدات ذات الطابع السوسيولوجي والأنثروبولوجي من خلق خطاب سردي جديد ومعاصر هو سرد أدب الصحراء.

وعليه نتبين النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة والمتمثلة في:

-أدب الصحراء أدب، عَرف بالحياة الصحراوية في ضوء العادات والتقاليد والأعراف البالية المتوارثة جيلا بعد جيل، والتي أسهمت بشكل كبير في الترويج الثقافي وحتى السياحي بامتياز في ظل ضبابية الحياة الصحراوية المجهولة عند الكثيرين .

- عملت الرواية الصحراوية على توظيف الموروث الشعبي بأشكاله المختلفة، فأصبح بذلك مرآة عاكسة للممارسات الحياتية، وتبدى ذلك في الطقوس الشعبية التي شهدناها مع الرباط والمخاض وطقس اللوح ...

-وفقت الرواية الصحراوية في وصف وضعية المرأة في ظل العادات والتقاليد المتوارثة، مما جعل القارئ يتطلع لحقيقة مكانتها في مجتمعها الصحراوي، ومدى إخضاعها لعادات وأعراف بائسة حولت أحلامها لكوابيس.

6. الهوامش:

1.خالدي وليد، عوالم الصحراء وتمظهرات الذاكرة في نصوص الروائية جميلة طلباوي (دراسة)،المقدمة، 2024م،(د.ط)، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، ص10.

2.بوسماحة عبد الحميد، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ، 2008م، (د.ط)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 9.

3. قرقوة إدريس، التراث في المسرح الجزائري ، دراسة في الأشكال والمضامين ، 2009م، ط1،ج1، مكتبة الرشاد للطباعة والتوزيع ، الجزائر ، ص 30.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

4. العنتيل فوزي، الفلكلور ماهو؟، دراسات في التراث الشعبي ، 1987م، ط2، دار المسيرة، مكتبة مدبولي ، القاهرة، مصر ، ص 15.

* يعد "تومز" هو المؤسس الفعلي لجمعية الفلكلور الإنجليزية ،فقد عمل على تهيئة الدواعي التي استطاعت – وحدها– أن تجعل نجاح تأسيس هذه الجمعية أمرا ممكنا ، وذلك بالجهود التي قام بها في إثارة الاهتمام بالعادات والمعتقدات القديمة وذلك بنشرها لتكون في متناول الناس كي يستطيعوا مناقشتها (ينظر العنتيل فوزي ، الفلكلور ماهو؟، ص ص 15،16.).

5. المرجع نفسه،ص 15.

6. المرجع نفسه، ص 39.

7. المرجع نفسه، ص 39.

8. ينظر الجوهري محمد، الفلكلور الغربي بحوث ودراسات، 2000م، ط1،ج1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ،كلية الآداب ،جامعة القاهرة، مصر، ص54.

9.العنتيل فوزي، الفلكلور ماهو؟،ص 44.

10. المرجع نفسه، ص 44.

11. عبد الوهاب حمزة، وعزوزي عبد الحميد، 2024م، التعبير بالموروث الشعبي في القصيدة الجزائرية المعاصرة، حيزية أنموذجا، مجلة النّص ،مج 10، ع 2، ص445.

12.سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة السّرد العربي، 1977م، ط1ن المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 47.

13. بورايو عبد الحميد وأخرون، الموروث الشعبي وقضايا الوطن ، نقلا عن نوادرية كريمة، زدام سعاد، 2017م، التراث الشعبي ، المفهوم والأقسام، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف، ميلة، ع5، ص 865.

14. البلقوطي الناصر، مقولات في التراث الشعبي، 2005م، تبر الزمان، تونس، ص 20.

15. المرجع نفسه، ص 20.

16. المرجع نفسه، ص ص20،21.

17. زنقوفي فوزية، قريد سمير،2023م سوسيولوجيا الموروث الثقافي الجزائري في ظل التطورات المعاصرة للتراث الشعبي ، مجلة مجتمع تربية عمل، مج 8، ع1، ص7.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

18.بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توّات وأعلامها، نقلا عن بن الشريف نعيمة،2022م،التنوع الثقافي في الفلكلور الشعبي بأدرار مقاربة نقدية ثقافية، دكتوراة، تخصص النقد الثقافي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ص 124.

19. السايح لحبيب، تلك المحبة، 2002م، منشورات ANEP، الجزائر.

20. سورة البقرة، آية 234.

21.السايح لحبيب، تلك المحبة، ص 61.

22. المصدر نفسه، ص 61.

23. المصدر نفسه، ص 61.

24. المصدر نفسه، ص 64.

25. المصدر نفسه، ص 64.

26. المصدر نفسه، ص 64.

27.المصدر نفسه، ص 66.

28.المصدر نفسه، ص66.

29. بن الشريف نعيمة، التنوع الثقافي في الفلكلور الشعبي بأدرار، ص 229.

30. السايح لحبيب، تلك المحبة، ص 67

31. المصدر نفسه، ص 67. (بتصرف).

32. المصدر نفسه، ص 67.

33.بوسماحة عبد الحميد، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص 13.

34. حاج أحمد الصديق(الزيواني)، مملكة الزيوان، 2015م، دار فضاءات، عمان، ط1، ص31.

35. بن طوبال عمار،2017م، الطقوس وتمثلات الهوية الجمعية في رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد مقاربة أنثروبولوجية، مجلة النّص ، جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، مج 12، ع1، ص30.

36.المصدر نفسه، ص33

37. المصدر نفسه، ص 36.

*قنينة جلدية ،لها غطاء من جلدها، ينظر شرح حاج أحمد الصديق (الزيواني)،مملكة الزيوان، ص37.

38. حاج أحمد الصديق (الزيواني)، مملكة الزيوان، ص 37.

* تدارة: محفظة تقليدية لها غطاء هرمي ، تستعمل لعدة أغراض محلية .

39.حاج أحمد الصديق(الزيزاني)، مملكة الزيوان، ص 38.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 443–456	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

40. بوسماحة عبد الحميد ، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص 15.
41. حاج أحمد الصديق(الزيزاني)، مملكة الزيوان ، ص 36.
42.المصدر نفسه، ص 35.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1. إدريس قرقوة، (2009)،التراث في المسرح الجزائري، دراسة في الأشكال والمضامين، ط1،ج1، مكتبة الرشاد للطباعة والتوزيع، الجزائر.
2. حمزة عبد الوهاب، وعبد الحميد عزوزي ،(2024)، التعبير بالموروث الشعبي في القصيدة الجزائرية المعاصرة، حيزية أنموذجا، مجلة النّص، مج 10، ع 2.جامعة جيلالي اليابس .
3. عبد الحميد بوسماحة،(2008) الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ، (د.ط)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر.
4. عمار بن طوبال، (2017)، الطقوس وتمثلات الهوية الجمعية في رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد مقاربة أنثروبولوجية، مجلة النّص، جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، مج 12، ع1.
5.فوزية زنقوفي، سمير قريد، (2023) سوسيولوجيا الموروث الثقافي الجزائري في ظل التطورات المعاصرة للتراث الشعبي، مجلة مجتمع تربية عمل، مج 8، ع1.
6. فوزي العنتيل، (1987) الفلكلور ما هو؟، دراسات في التراث الشعبي، ط2، دار المسيرة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.
7. لحبيب السايح،(2002)، تلك المحبة، منشورات ANEP، الجزائر.
8. الصديق حاج أحمد(الزيواني)، (2015)،مملكة الزيوان، دار فضاءات، ط1، عمان، الأردن.
9. الناصر البلقوطي، (2005)، مقولات في التراث الشعبي، تبر الزمان، تونس .
10. محمد الجوهري،(2000)، الفلكلور الغربي بحوث ودراسات، ط1،ج1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر.
11. نعيمة بن الشريف،(2022)، التنوع الثقافي في الفلكلور الشعبي بأدرار مقاربة نقدية ثقافية، دكتوراة، تخصص النقد الثقافي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.
12. وليد خالدي، (2024)،عوالم الصحراء وتمظهرات الذاكرة في نصوص الروائي ة جميلة طلباوي (دراسة)، (د.ط)، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر.
13.يقطين سعيد، (1977) ،الكلام والخبر، مقدمة السّرد العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.